٣٨

الإمام محمد بن عبد الله الخليلي في التاريخ الشفهي المروي في بلدة مسلمات بولاية وادي المعاول

أ. محمد بن خميس الرواحي
abujaber2345@gmail.com

بلدة مسلّمات:

بلدة مسلّمات هي إحدى قرى ولاية وادي المعاول الواقعة في محافظة جنوب الباطنة من عمان. وهي من أهم قرى هذه الولاية العريقة والمعروفة منذ القدم بأنها في مصاف البلدان التي ما إن تقوم الإمامة إلا وأهلها من أوائل الناس المبايعين لمن قام بواجب الإمامة، والتاريخ شاهد على عراقتها ووقوف أهلها مع الحق ومساندة الأئمة على مر التاريخ، وكانت بلدة مسلمات إحدى نقاط الدفاع ضد البرتغاليين. برز في البلدة عدة شخصيات علمية وسياسية منهم الشيخ الفقيه محمد بن شامس الرواحي والشيخ القاضي سيف بن عبدالعزيز الرواحي والشيخ سالم بن محمد الرواحي والشيخ عبدالعزيز بن محمد الرواحي والشيخ علي بن حمد المعولي وغيرهم من العلماء والفضلاء. تحوي البلدة عدة آثار تاريخية من أهمها حجرة مسلّمات التي تحوي بداخلها جامعا لا يقل عمره عن ٢٤٠ سنة، وبيت الخندق ذا الطراز المعماري الرائع، وعدة بيوت أثرية. كما يوجد بالبلدة عدة أبراج أثرية، وحارة العوينة الأثرية. وقد سكن في هذه البلدة عدة علماء ورجال فضلاء أمثال الشيخ جاعد بن خميس الخروصي وأبناؤه من بعده، والإمام سالم بن راشد الخروصي، والشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي والد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي.

مجيء الشيخ عبد الله بن سعيد إلى وادي المعاول واستقراره بقرية مسلمات:

شاءت الأقدار أن يختار الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي، والد الإمام محمد، من وادي المعاول سكنا له، وأن يختار بلدة مسلمات من بين جميع بلدان هذه الولاية ليستقر بها. وبهذه المناسبة، وهي قدوم الشيخ إلى هذه البلاد، فقد اجتمع الأهالي

والأعيان بالشيخ الخليلي فرحين بقدومه، وكل منهم يتمنى أن يكون أقرب جار له، بل ويتمنون لو يهبونه منازلهم؛ لما له من شأن عظيم ومكانة لا يستهان بها في جميع أوساط المجتمع العماني وفي قلوب جميع العمانيين؛ لأنه ينتسب إلى عائلة معروفة بالعلم والصلاح والرياسة، وليس غريب علينا كعمانيين لأن العرب عامة والعمانيين خاصة يؤثرون نزيلهم على أنفسهم، ويتنافسون لنيل شرف إكرام الضيف، فكيف بمقام الشيخ الخليلي الذي حيث ما حل يستقبله الجميع استقبالا يليق بأمثاله.

يروي أحد الآباء عن حادثة قدوم الشيخ الخليلي واجتماع الأهالي به في حلة (المريغة) من بلدة مسلمات، وأخبروه بأن البلد بلده وأن له أن يختار أي مكان يراه مناسبا له ولعائلته، فأجابهم بأنه سيختار البلدة التي يحبها آملا أن يكون الجميع راضين، وأن لا يدخل شيء في نفوسهم، فالبلاد واحدة وإرضاء الجميع غاية لا تدرك. فقال على اللهجة الدارجة: ما شيء زعل؟ فأجابوه بأن لك ما أردت فقال: مسلّمات.

كما أسلفنا فإن الشيخ عبد الله اختار بلدة مسلمات وسكن في حارة (الحجرة)، وعاش في مسلمات ما شاء الله أن يعيش ومعه عائلته وأبناؤه الكرام. وعن سبب اختياره مسلمات يقول: "أحببت مسلمات"، وليس بغريب حبه لها؛ لأن فيها من الرجال الأخيار أمثال الشيخ حمد بن سعيد والشيخ عبد العزيز بن محمد والشيخ الفقيه الورع محمد بن شامس وغيرهم من الرجال الأفاضل، ناهيك عن رجال وادي المعاول جميعا. وفي بلدة مسلمات له مكان معروف باسم سيبة "عبد الله بن سعيد" فقد كان يحامي عن الفلج "فلج الحديث" وهو أحد الأفلاج الرئيسية فيها والوحيد الذي ما زال يجري إلى يومنا هذا ويغذي جميع مزارع البلدة وأيضا له مصلى معروف هناك باسمه.

حياة الإمام محمد في مسلمات:

عاش الإمام الخليلي في قرية مسلّمات، وتعلم على أيدي علمائها ومشايخها، وله علاقات بشيوخها ورجالاتها، وله فيها ممتلكات من أراض وأموال ومزارع، ولا يزال أهل البلد يرون الكثير عن سيرته وعلاقته بهم وبآبائهم وأجدادهم.

شيوخ الإمام وتلاميذه من بلدة مسلمات:

تعلم الإمام الخليلي في صغره ببلدة مسلمات القرآن الكريم وعلومه على يد الشيخ سيف بن سالم المعولي. ويعتبر الشيخ الورع العلامة محمد بن شامس الرواحي شيخ الإمام الخليلي كما يقول عنه الشيخ عبد الله بن سيف الكندي بأنه شيخ الإمامين؛ أي: الإمام سالم بن راشد الخروصي والإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ومن تلاميذ الإمام الخليلي من بلدة مسلمات- رحمهم الله جميعا- الوالد سيف بن سليمان الرواحي، والوالد يحيى بن حمود اليحمدي، وسيف بن محمد المعولي إلى جانب الشيخ سيف بن راشد المعولي من بلدة (أيفي) المجاورة لمسلمات وهي إحدى البلدان التابعة لوادي المعاول.

أموال الإمام وممتلكاته في مسلمات:

ورث الإمام الخليلي ما شاء الله أن يرث من والده في بلدة مسلمات، فيروي لنا من أدركه ومن عنده دراية بالزراعة والأموال الموجودة في البلدة أن للإمام الخليلي الكثير من الأموال والمزارع، فمن مسميات الزارع التي يمتلكها بهذه البلدة (الغنيمة)، و(السديرة) و(الرويضة)، و(العافية)، و(ضواحي الخضراء)، بالإضافة إلى عدة أراض وضواح أحدها أوقفها- رحمه الله تعالى- مقبرة خاصة لدفن الأطفال. وكما علمت، أخي القارئ، أن الإمام باع جميع ما يمتلكه من أموال في سبيل الحق وتعزيز دولة الإمامة، وأن الأموال التي في بلدة مسلمات من ضمن ممتلكاته التي باعها لإقامة الحق وتقوية الدولة، وأن أغلب أمواله التي سبق ذكرها صارت ملكا للشيخ القاضي سيف بن عبدالعزيز بن محمد الرواحي.

قصص ومواقف:

اشتهر الإمام الخليلي- رحمه الله- في أوساط المجتمع العماني بأن مَنَّ الله عليه بالكرامات والفتوحات. ويبدو أنه منذ صغره أكرمه الله بهذه الفتوحات التي يختص بها عباده المتقين وأولياءه الصالحين. ففي يوم من الأيام خرج الشيخ عبد الله بن سعيد والد الإمام الخليلي وكعادته إلى أمواله ومزارعه لتفقد الأحوال والإشراف على ممتلكاته، فقبل خروجه من بيته كان الإمام آنذاك وفي حداثة سنه يقرأ القرآن في الغرفة العلوية من البيت، والشيخ عبدالله ذاهب من حارة

الحجرة إلى حارة العوينة التي يوجد بها عدد من أمواله ومزارعه، وبعد وصوله لقي شخصا اسمه منين، وبعد السلام عليه قال منين للشيخ عبدالله: ما شاء الله ولدك محمد مر قبلكم من هنا، فاستغرب الشيخ عبدالله وقال له: محمد في البيت وخرجت عنه وهو يقرأ في الغرفة. وأقسم ذلك الرجل بأنه رآه هو بعينه، وكان حاضرا الوالد سالمين المعولي وقال، نعم، رأيناه وتحدثنا معه. فبقي الشيخ عبدالله منبهرا؛ لأنه خرج من بيته متجها مباشرة إلى ذلك المكان، ولم يقف في طريقه أو يقصد مكانا قبل ذلك المكان حتى يسبقه ابنه إليه. والجميع يعلم بأنه لا توجد وسائل نقل في ذلك الوقت مثل الآن، ولا يمكن لشخص عادي أن ينتقل من مكان لآخر بتلك السرعة. ويقول الوالد حمد بن سالمين تعقيبا على هذه القصة: بأن الإمام (مالك رياضة) وأن الله فتح له منذ صغره، وهذا ليس بغريب؛ لأن الله، سبحانه وتعالى، لا ينظر إلى السن أو أي شيء آخر سوى التقوى والقرب من الله.

الاجتماع بنزوى لعقد البيعة على الإمام الخليلي:

ولما كانت الحاجة إلى القيام بمصالح الأمة وجب أن تكون المصالح العامة جارية على نظام ثابت لا يزلزله فقد الرؤساء، وأن ندرك أننا نعيش في ظل وطن تحكمه حكومة شرعية محترمة، وأن ندرك أننا لا نعيش في غاب لا تسوده شرعة القانون، وأننا لا نعتمد في معرفة الحق على وجود المعلم بحيث نتركهما عند موته، بل نسير على منهاجهما حين وجوده وبعد موته، وأن قتل الإمام سالم بن راشد الخروصي لا يوجب ضعفا في الدين ولا فساداً فيه، وأنه بشر كسائر الخلق. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَد خَلَت من قَبله الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَابكُم وَمَن يَنقَلب عَلَى عَقبَيه فَلَن يَضُرَّ اللّه شَيئا وَسَيَجزي اللّه الشَّكرينَ﴾ (الآية ١٤٤، سورة آل عمران)؛ ففي الآية هداية وإرشاد إلى أنه ينبغي أن يكون أمر البشر مستمراً.

عقد العلماء والقضاة والرؤساء في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام ١٣٣٨هـ مؤتمراً تمخض منه صلاح الأمة العمانية والسلوك بها إلى طريق الرشاد والأخذ بها إلى أيدي السعادة؛ فألزموا الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي قبول الإمامة وكلفوه ذلك بعد طول احتجاج ومناظرة قرع صداها صم الآذان وفتح مسالك الأوهام لعجزهم عن مناظرته؛ لكونه أعلمهم وبعد طول احتجاج ما رأى من الواسع إلا قبول أمرهم؛ فأصبح الناس بجامع نزوى غرة الثالث عشر من ذي

القعدة والجمعة عام ١٣٣٨ هـ(٢).

علاقة الإمام الخليلي بأهل مسلمات في فترة إمامته:

كانت علاقة الإمام الخليلي ببلدة مسلمات لم تزل حتى عقد البيعة له وتوليه أمر المسلمين علاقة قوية أعانته على قيام الحق وتمكين أركان الإمامة في هذه البقعة من عمان، ولأهل مسلمات دور كبير وإسهامات لا يستهان بها لما لها من أثر كبير في تقوية أركان الإمامة. ولسنا هنا إلا لذكر مواقفهم وتضحيتهم لنصرة الحق والوفاء للإمام.

ولعظم مكانة الإمام الخليلي عند أهل مسلمات وخاصة شيوخها أن الشيخ سيف بن عبد العزيز الرواحي قاضي الإمام الخليلي هو أخو السيد أحمد بن إبراهيم البوسعيدي ناظر الشؤون الداخلية في دولة السلطان سعيد بن تيمور، فذات مرة طلب السيد أحمد من الشيخ سيف أن يتولى القضاء لحكومة السلطان، فرد عليه الشيخ بالرفض، واستاء السيد أحمد وقال لأخيه الشيخ سيف: عندنا ترفض أما للإمام فلا. فقال الشيخ سيف- رحمه الله: إن الفرق بينك وبين الإمام الخليلي كما بين الحلال والحرام.

أحداث في عهد الإمام ساهمت بها بلدة مسلمات:

عودة خلفان بن ثنيان إلى نخل:

في شهر المحرم من عام ١٣٣٩هـ رجع الإمام من الرستاق بعد استقرار أمرها وأقام ببلدة نخل، وكانت بها تحركات تقلق أمن الدولة أثارها الشيخ خلفان بن ثنيان الحراصي بعد قتل أخيه أحمد، فإنه أقام بالرميس من ناحية الباطنة وعنده جماعة من اللصوص وقطاع الطرق فشنوا الغارات المتوالية على نخل وشددوا المضايقة على أهلها وكانت حكومة مسقط ظهرا لهم فسفكت بها دماء كثير من العلماء الأفاضل، وبإشارة بعضهم توسط الشيخ سالم بن عمير بن حنظل المعمري أحد أعيان الحرث لحسم هذه المفسدة وقطع شأفة العدوان بأن يرجع خلفان بن ثنيان إلى نخل وأن يكون في سلك المسلمين، رجاء أن تفوز البلاد بالراحة والأمن والاطمئنان، وظنا منهم أن به من الأنفة العربية والشيمة والحرية ما يحجزه عن التهور في قابل الأيام.

خرج إليه الشيخ المعمري واجتمع به فعاتبه على أفعاله الدنيئة وأعماله الردية فأظهر الندم والأسف والتوبة عما سلف فقبل كلامه ورجى أوبته؛ فرجع الشيخ المعمري إلى الإمام يخبره وكان الأمر شورى، فأحضر الإمام العلماء والأعيان فكلهم رأوا السكوت عنه والقبول منه لعدم القدرة عليه في ذلك الوقت، فأقبل خلفان يسعى وما هو إلا الأفعى فأقروه رئيساً على أهل نخل وأجري عليه من بيت المال كفايته، وجعل الإمام الشيخ محمد بن سالم الرقيشي متكفلا بوظيفتي القضاء والولاية. بقي خلفان برهة من الدهر مستقيما ثم انعكس، (ولا يتحول الصبر عسلا)، وفي ذلك يقول شيخ البيان:

مذ كان أصل الجور منها غائباً ... ردوه فيها للصـــلاح الشـاملِ

قد أخطؤوا نظراً فإنّ حضـوره ... قد زاد بغياً في القيام الطـائلِ

ما كل مجتهــد يصيـــر موفقاً ... في الخير أجر باجتهاد العاملِ

واختار موسى جاهداً من قومه ... سبعيـن فانقلبوا بحالة جاهـلِ

حادثة نخل:

لما رجع الشيخ خلفان بن ثنيان إلى نخل بقي فيها أياماً تنقل عنه الألسن كرماً والأفواه حمداً، حتى نزغت به النوازغ الشيطانية لشؤم جده العاثر، فتحركت نفسه السبعية إلى ما خبأته وأثارت طبيعته الغريزية ما أكنته وحوته، فبسط يده إلى أموال الأوقاف ومدها إلى عسف العباد، وإرهاق أهل البلاد، وكاد أن يتجاوز الحد فيتناول العامل بالحقد؛ فبث العامل إليه النصائح الودية، فما زادته إلا علوا واستكبارا. فرفع أمره إلى الإمام فكتب إليه الإمام بالنصح فشمخ وأنف، ثم أعذر إليه بعد الاحتجاج فبطر واستخف، وما درى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة. جهز إليه الإمام سرية من رواحة يرأسها الفاتك سيف بن حمود بن محمد، وعززه بمحمد بن سعيد القنط، ومحمد بن سعيد بن سوّاد وغيرهم، فنزلوا بوادي معولة، واجتمعوا بالعامل الشيخ الرقيشي وأبدوا له ما أمروا به، فخرجوا إلى خلفان والشيخ الرقيشي أمامهم في الساعة الثالثة من النهار من يوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ فوجدوه بمجلسه العمومي فأثاروا عليه الرصاص فخر صريعاً، وقُتِلَ معه خادمه برصاص، وجرح

آخر يسمى خلف بن محمد ولد المعلّم ورجعوا إلى الحصن؛ فنمى الصريخ إلى من تعصب له بالباطل، ومن كان يساعده على البغي من بني جابر وبني حراص والسيابيين وبني عوف، فأحدقوا بالحصن وضيقوا المسالك وأحكموا الفجاج والروابي. والقائد لهم على ذلك ابن أخ المقتول حمود بن سالم بن ثنيان وزهران بن محمد بن طالب الحراصيين، فبلغ الخبر إمام المصر فخرج إليهم عن طريق عقبة قَرِىً، وعسكر بوادي معولة وقدم إليهم النصائح ووعدهم جميلا؛ فأعاروه أذناً صماء، ثم دعاهم إلى الأحكام الشرعية، فأبوا من ذلك فأرسل إلى قواده وأنصاره فاجتمعوا إليه. وأرسل إلى الشيخ عيسى وكان ذلك الوقت مريضاً فلما عوفي وافاه بمسلمات من وادي معولة، فكان وصوله يوم ثامن ذي الحجة سنة ١٣٤١هـ وقد أخذ في صحبته أعيان وادي سمائل، فأرسلوا شارفين إلى البغاة أداءً لواجب الدين ولقيام الحجة على المعتدين واحترازا من سفك دماء المسلمين في غير شيء إلا بغي فادح وجور فاضح، فرجعوا إليهم بغير مفيدٍ إلا العتو والعناد، فلم ير الإمام بعد إلقاء النصح إليهم، وعدم قبولهم له محيصاً عن القدوم إليهم؛ ليكشف عن التضييق الواقع على أهل الحصن منذ شهر؛ فشرع في تعبئة جيشه ليلة عيد الحج فأمر القائد الكبير أبا زيد عبدالله بن محمد بن رزيق الريامي والزعيم زاهر بن غصنٍ الهنائي ومن عندهم من هناة ومعولة أن يهاجموا البلاد من جبل عاقوم مشرقاً إلى الجبل المعروف بالشيبة، وهو عرق من الجبل الأخضر. وأمر الشيخين صالح بن أحمد وعبدالله بن سليمان الحارثيين على أهل الشرقية وأن يحلوا عليهم من جبل عاقوم إلى جبل الصافية، وأمر السيد هلال بن علي عامله على الرستاق والشيخ ناصر بن راشد الخروصي والشيخ مهنا بن حمد العبري على رجالهم، وأن ينزلوا عليهم من جبل الصافية إلى جبل اللبان، وأمر الشيخ أحمد بن حامد الرواحي بمن عنده من رواحة أن يركبوا جبل اللبان ولم يأذن لأحد من القواد بإطلاق النار قبل أن يسمعوا وقع الشيخ أحمد بمن في الجبل، فلما أخذ الكل مقاعدهم وبدأ المأمور بإطلاق النار حمل القوم حملة واحدة وكان الوقت عند الفجر الأول، فنادى منادي الحمام حي على الأرواح، ومنادي الصلاة حي على الفلاح، فتعاطوا بالبنادق حتى كلّت، ثم بالقواضب حتى فلّت، ثم بالخناجر حتى بلغت القلوب الحناجر. والكل في موقفه صابر، فكم قتيل على تلك الآكام يتشحط في دمه، وكم جريح ساقط على قدمه، فلم ترتفع الغزالة إلا ورايات النصر ترفرف

بالسعد على هامات الجند؛ فأطلقت مدافع الفتح، وحصل للإمام النجاح. وقد كانت الواقعة بيوم النحر، وما أدراك ما يوم النحر، يوم قلقل الجبال الشم، ونفر الوحوش من العصم، وفتحت البنادق كل أذن صماء، وما كان شيء ليقاوم صولة المسلمين؛ فقد دخلتها الكتائب عنوة، وفرّ أهلها منها ضحوة، وبقي الإمام والأمير بمسلمات بعد الواقعة يومين. وفي اليوم الثالث من ذي الحجة الحرام عام ١٣٤١هـ دخل الإمام المؤيد حصن نخل فأمر بهدم الصياصي، ونسف الدور التي تحصن بها البغاة. وقضى في نخيل البغاة بالقطع قبل انقيادهم، وقبض على الشيخ حمود بن سالم بن ثنيان قائد البغاة من حارة الصّعبة، وَصُفِّدَ بالحديد، ثم حكم الإمام بقتله، فأنفذ فيه الحكم بحصن نخل، وهرب المتجمعون بها في أقاصي الأرض، فطلبهم الإمام والتجأ الشيخ زهران بن محمد الحراصي القائد الثاني ببلدة جَمّا مع من فر من جماعته وغيرهم، وطلبه الإمام إما الإذعان أو الحرب فلم يروا قبلا لهم بالحرب.

ولم يحضر الشيخ سليمان بن حمير النبهاني هذه الغزوة في أول الأمر؛ لما داخله من التعصب بالباطل. وبعد الفتح وصل بجنوده وردّ شوارد الهاربين وتوجه بهم إلى أفمام بوادي معولة، وفيهم الشيخ القائد زهران بن محمد وأعيان قومه فسأله الصفح عنهم والتجاوز عن عثرتهم، فأقالهم وعفى عنهم كما هي عادته إذ كان رحمه الله رحيماً كريماً غير فظ ولا منتقم.

وأبقى الشيخ الرقيشي بالبلاد آمراً ناهياً إلى عام ١٣٥٢هـ، فعزل عنها وأبدل مكانه محمد شيبة السالمي وبهذه الحركة انكسرت سورة أهل الفساد وانقطعت آمال أهل العناد.

جملة الشهداء من أصحاب الإمام في هذه الحملة تسعة عشر رجلا وامرأة، ومن البغاة نقلا عن الشيخ الرقيشي نحواً من سبعين رجلا. وأطنب الشعراء في هذا الفتح ولشيخ البيان محمد بن شيخان قصيدة فيها خبر الواقعة مستوفاة قال من بحر الكامل:

دمغت شموس الحق ليل الباطل ومحت أكف العدل رسم الجاهلِ

إلى أن قال:

والمسلمون بمسلمات تماوجــوا كالبحر يقذف موجه بالسّاحلِ
وأرى المعاول كالأسود تجمعــوا في مسلمات مع اللهام الحافلِ
قدموُا قبيل الصبح ليلة عاشر بالعيد من ذي الحجة المتكامل[١]

دور أهل مسلمات في هذه الحادثة:

دور الشيخ حمد بن سعيد المعولي والشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي:

بعد أن عسكر الإمام الرضي وجيشه بمسلمات تصدى لنفقة الجيش الشيخ حمد بن سعيد المعولي والشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي وتولى تزويدهم وأهل مسلمات بما يحتاجونه طيلة مكوثهم بها وأثناء حربهم. وعن هذه الحادثة كان الشيخ حمد كلما أرسل خدمه لتفقد مكان حفظ التمور ولتعبئة (النضد) يجدون أنه لم ينقص منها شيء بالرغم من العدد الكبير للجيش؛ عندها ذهب الشيخ بنفسه فيجد كلامهم صحيحا. فيخبر الناس أن هذه الحادثة إحدى كرامات الإمام الخليلي وبركة للشيخ حمد بن سعيد في أمواله لما له من دور كبير في القيام بنصرة الإمام.

ومن مواقف الشيخ حمد بن سعيد المعولي أنه في يوم من الأيام بعث الإمام رجالا إلى شخص من المعاول كان معروفا بالثراء وكان يملك من الأموال الكثير، بعث الإمام هؤلاء الرجال للحصول على قرض وهو ألف قرش احتاجها الإمام لتسيير أمور دولته على أن يرجعها له في وقت معين، ولكن ذلك الرجل لم ينل توفيق الله تعالى في تلبية ما طلبه الإمام، فكان شحيحا على نفسه فشح بذلك على أداء واجب مساعدة المسلمين، ولا يعتذر عن خدمة المسلمين وإمامهم إلا سيئ الحظ، فأبى ذلك الرجل إلا أن يرجع أولئك الرجال خائبين، ولكن يُقَيِّض الله للحق رجالا لا تتردد في أداء الواجب واللازم، فالتقى أولئك الرجال بالشيخ حمد بن سعيد في مسلمات فسألهم عن قصدهم فأخبروه بما حصل؛ وعندها طلبهم للغداء في بيته وبعد طول عناء وافقوا فأسرع الشيخ لرهن أحد أمواله لأحد أهل البلدة على أن يعطيه ألف قرش ليؤديها للإمام. فسبحان من يوفق عباده لفعل

١ السالمي، نهضة الأعيان ص٣١٦-٣٢٥

الخير. وبعد أن استأذن الرجال أعطاهم الشيخ ما جاؤوا من أجله ولم يخبرهم برهنه لأحد أمواله وأرسل معهم سلاما حارا للإمام.

وفي هذه الحادثة يذكر الوالد حمود بن محمد المعولي أن الشيخ عيسى وصل بعد الإمام ليشهد هذه الواقعة، فكان وصلوه مسجد العافية في وسط البلدة فوجه له الإمام طارشا يدعوه للمجيء إلى حلة الحجرة، فقال الأمير الحارثي: ما يدري الإمام أين أنا الآن؟ يدعوني للذهاب للحجرة وأنا بين العافية والغنيمة والخزينة. في هذه القصة إشارة إلى أن الإمام يعرف البلدة جيدا كغيره من أهلها، كيف لا وهو عاش فيها سنينا في صغره وكما أسلفنا فإن (العافية)، و(الغنيمة)، والخزينة) كانت من ممتلكات الإمام الخليلي التي ورثها عن أبيه الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي.

ويروي الوالد حمود عن هذه الواقعة أنه عندما عزم الإمام على دخول نخل، كان هناك الكثير من المحبطين الذين لا يفقهون أن الحق أبلج، والباطل لجلج، وأن الله، سبحانه وتعالى، يعلي الحق دائما، مهما عظم شأن الباطل، وكبر في عين مناصريه. كان الكثير من هؤلاء يقولون بأن نخل صعبة المنال فهي محصنة بالرجال والسلاح، إلى جانب وعورتها واتخاذ أهلها من الجبال حصونا لهم، إلا أن الله، سبحان وتعالى، هيأ لهذا الإمام المؤيد بنصر من الله وجنود لا يهابون الموت، فدخلها الجيش في ليلة واحدة. وفي هذا يقول شيخ البيان ابن شيخان السالمي:

قدموُا قبيل الصبح ليلة عاشر بالعيد من ذي الحجة المتكاملِ

وفي هذا الشأن يقول الوالد حمود: إن الوالد عبد الله بن سليمان بن حمدان المعولي جاء ببشرى الفتح، يخبره بأن النصر تحقق، وفتحت نخل بعون من الله، فحمد الإمام الله على ما حققه على يديه والمسلمين، وأعطى الوالد عبد الله بن سليمان ثلاثة قروش لبشارته السارة والخبر السعيد.

ويقول الوالد محمد بن مرهون إنه قبل دخول جيش الإمام نخل، خطب الإمام وأعطى جيشه التعليمات، وأمر كل فرقة بأن تدخل من مكان محدد، وحذر من مخالفة أوامره، واتباع من أوكل إليهم مسؤولية قيادة الجيش، وعلى الجميع أن يتخلقوا بأخلاق المسلمين كما كان يفعل الصحابة في الحرب، وأن لا يعتدوا إلا

على من يقاومهم أو يحمل السلاح في وجوههم. وقال لهم بأن من يهاجمكم فأنتم في حل من دمه؛ لأنه تعصب للباطل ضد الحق، ولكن لا تعتدوا على الأموال، ولا تقوموا بالنهب والسرقة، فنحن ذاهبون لنصلح، لا أن نقوم بالتخريب، ولكن لا يخلو جيش من الجهلة والسفهاء، فمنهم من خالف الأوامر، ونهب وسرق وأمره إلى الله، وكما أسلفنا فإن جيش الحرث ومن كان معهم من أهل الشرقية دخلوا نخل من (عاقوم) ومن الواجهة الأمامية لنخل فكان معهم من أهل مسلمات جدي سعيد بن سالم الهشامي الرواحي، فهو كان دليلا ومقاتلا في نفس الوقت؛ لأنه كان يعرف مداخل ومسالك البلاد جيدا، وفي هذه الجهة خصوصا اشتد النقع ووصل القتال بالخناجر رجلا لرجل ومات عدد كبير من الفريقين.

وهذه رزحة أخبرني بها الوالد سعود بن حمد الحوسني قالها الجيش بعد رجوعهم منتصرين إلى الإمام، تقول:

إمامنـــــا ردت نخيـــــلة وتهضهضت من كل وادي

سمعوا التفق ينحب نحيبه قحم السِيَـبْ يبغى عوادي

قيام الإمام على الطو:

وفي شهر صفر عام ١٣٦٢هـ جهز الإمام جيشاً من الشعب يرأسه بنفسه، فخرج إلى الطوّ ولم يستنهض الشيخين عيسى وسليمان؛ والسبب الباعث لذلك أن أسرف السبوع ومن شايعهم من غوغاء بني جابر أهل الطوّ تلصصوا وانتهبوا أموال المسلمين من الباطنة وغيرها، وجعلوا الطو مغارة لهم؛ لكونها محيطة بها الجبال، منيعة لا يتوصل إليها إلا بمشقة، ولا منفذ لها إلا من جهات مخصوصة وغرهم بأسهم واطمأنوا إلى مغارتهم، وظنوا أنها تقيهم المحذور، وبقوا على إصرارهم حتى حكم الإمام الخليلي بهدر دمائهم، وأمر بالفتك فيهم؛ فقيّض الله من قام بالواجب، ففتك بأميرهم سعيد بن خلف المعروف بابن زُعَيْلَة وقت الضحى، حيث ظن أن لا سبيل إليه؛ فقام أعوانه يطلبون بثأره، فما زالوا يقتُلون ويقتَلون؛ فرأى الإمام الخروج لقمع هذه الشرذمة الباغية. وفي يوم ٢٣ من الشهر المذكور دخل الإمام الطو فهرب الفساق واللصوص؛ فأمر بهدم بيوتهم التي هي مأوى لبغيهم، وقطع نخيلهم، وأجلى من بقي بها من أعوانهم، وحمل على الأصفاد

من احتاج إلى الأدب، ممن كان يساعدهم، وأرسل إلى رؤساء بني حراص زهران بن محمد وأحمد بن ناصر أن يأتوا إليه بنخل؛ لأنهم رؤساء على السبوع، وأراد أن يحمّلهم أمر الهاربين، وأن يكلفهم ذلك كما هو الأمر الشرعي من إلزام الرئيس أمر مرؤوسيه، فتثاقلوا عن الوصول في بادئ الأمر، حتى تحقق عندهم تحرك الإمام إلى عاصمتهم جَمّا إن لم يمتثلوا، فهرب زهران إلى مسقط، وأذعن أحمد لما يراد منه بواسطة السيد محمد بن هلال عامل الرستاق ذلك الوقت.

ولم يكن للإمام وأنصاره في هذه الغزوة التي لبث بها سبعة عشر يوما إلا التمر و(العوال، وهو سمك القرش المجفف يدخره العمانيون إداماً إذا عدم السمك الطازج، وقد كان وقت هذه الغزوة حرجا؛ لغلاء الأسعار، وقلة الأطعمة بسبب الحرب الطاحنة بين الدول[1].

في هذه الحادثة يروي أحدهم أن أهل وادي المعاول من أوائل المناصرين للإمام على البغاة من الطو، وخاصة من أهل مسلمات بقيادة سعيد بن خلفان المعولي المعروف بـ(الشاعر). وكما أسلفنا أن هذه الفترة كانت عصيبة لما يمر به العالم من ظروف عصيبة وحروب طاحنة. وكما عهدنا من الإمام الخليلي تقديم المصلحة العامة وإيثار الدولة على نفسه؛ فإنه قام ببيع خنجره التي لم يبق له سواها؛ لتعينه على توفير جزء ولو يسير لتلبية ما يحتاج من ذخيرة وعدة وعتاد للجيش، كما باع ممتلكاته من أموال وغيرها سابقا في سبيل تعزيز دولته ونصرة الحق، ويزيد على ذلك أنه بعد بيع الإمام لخنجره والقضاء على البغاة من أهل الطو، شهدت البلاد خصبا لم يشهده من قبل من عاش في تلك المدة، ويعد الناس هذه الحادثة كرامة من كرامات الإمام الرضي رحمه الله.

وكما أسلفنا سابقا فإن الإمام الخليلي كان على علاقة قوية ببلدة مسلمات وأهلها قبل توليه الإمامة، وبعدها فإنه كان على اتصال دائم بشيوخها وعلمائها؛ فكان أن وجدت عدة مراسلات بين الإمام وبين الشيخ محمد بن شامس الرواحي والشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي وابنه الشيخ القاضي سيف بن عبدالعزيز، التي اشتملت أغلب موضوعاتها على مسائل شرعية ولغوية، بالإضافة إلى تطبيق

١) السالمي، نهضة الأعيان ص٣٧٣-٣٧٥

الأحكام، والقيام بالواجب نيابة عن الإمام كتوزيع الزكاة وتطبيق الحدود إلى جانب مراسلاتهم في المناسبات والاطمئنان على الأحوال وغيرها من الموضوعات التي لا يسع المقام لذكرها؛ نظرا لضيق الوقت وكثرتها ولا ننسى تعاقب الولاة الذين عينهم الإمام على وادي المعاول وما جاورها ومراسلاته معهم فيما يخص هذه البلدان ومن ضمنها بلدة مسلمات.

رأي الناس في الإمام الخليلي:

إن لأهل الصلاح والناس الأتقياء أثرا كبيرا في نفوس جميع الناس بمختلف مستوياتهم سواء المتعلم أو الجاهل، شيوخهم وعلماؤهم، الخاصة منهم أو العامة، صغارهم وكبارهم، أو أي كان مستواهم في المجتمع؛ لذلك نجد أن كثيرا من الشخصيات في مجتمعنا ما زال صدى ذكرها يتردد بيننا وعلى مسامعنا دائما مهما مرت السنين، وطال الزمان، نجد من يذكر سيرتهم العطرة، ومناقبهم في حياتهم وما تركوا من آثار وأفعال، يشهد لها التاريخ ومن عاصرهم أو من هو مهتم بتحري سيرتهم العطرة، وكأنهم أحياء بيننا فنجد من عرف قدرهم وعظم شأنهم يضرب بهم الأمثال، ويتحسر على فقدانهم، ويتمنى أن لو يرجعون لهذه الدار مرة أخرى، ويستأنس بالجلوس معهم، والحديث ولو لبرهة. والإمام محمد بن عبدالله الخليلي خير مثال على ما أسلفت، فحتى خصومه أجبرهم على الاعتراف بفضله وعظم شأنه؛ فإن الله إذا أحب عبدا ألقى محبته في قلوب الناس. ويتجلى هذا في حب الناس للإمام الرضي، وإجلاله في حياته وبعد وفاته، فنجدهم يصفونه بأوصاف حميدة جمة فمنهم يصفه بأنه نور يمشي في الأرض، وكأنه ملك من ملائكة الله عز وجل، ومنهم من يقول بأنه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، سيرته عمرية ويكثرون من قول صاحب رياضة وفراسة، ويملك من علم السر ما لا يملكه غيره، فهو أعلم أهل زمانه، ولا يبارى رحمه الله، ناهيك عن العدل والأخذ بيد المظلومين وإيثار الرعية والدولة على نفسه مع القدرة على الحصول على ما يريد، فقد فتح الله له من الرزق ما لم يفتح لغيره من الناس، خاصتهم وعامتهم، ولكن الزهد والورع سمة العلماء الأطهار والأئمة الأخيار.

المراجع والمصادر:

- أبو بشير محمد شيبه بن نورالدين عبدالله بن حميد السالمي، نهضة الأعيان بحرية عمان. (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٠م).
- مكتبة الوالد محمد بن شامس الرواحي
- مكتبة الشيخ حمد بن سيف الرواحي
- مقابلة مع الوالد حمود بن محمد المعولي.
- مقابلة مع الوالد حمد بن سالمين المعولي.
- مقابلة مع الوالد محمد بن مرهون المعولي.
- مقابلة مع الوالد سعود بن حمد الحوسني.
- مقابلة مع جدتي شيخة بنت محمد الرواحية.

الملاحق: مراسلات الإمام مع بعض مشايخ البلدة:

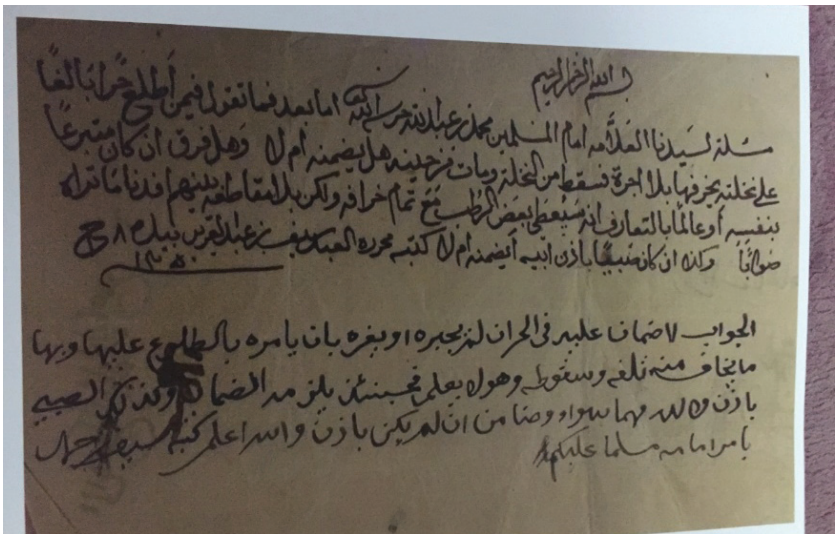

رسالة من الشيخ القاضي سيف بن عبد العزيز الرواحي إلى الإمام الخليلي يستفتيه في مسألة.

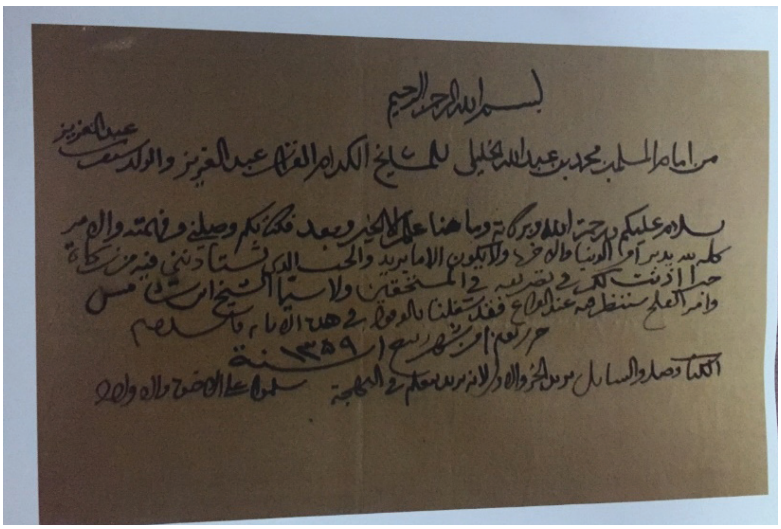

رسالة جواب من الإمام الخليلي إلى الشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي وابنه القاضي الشيخ سيف بن عبد العزيز.

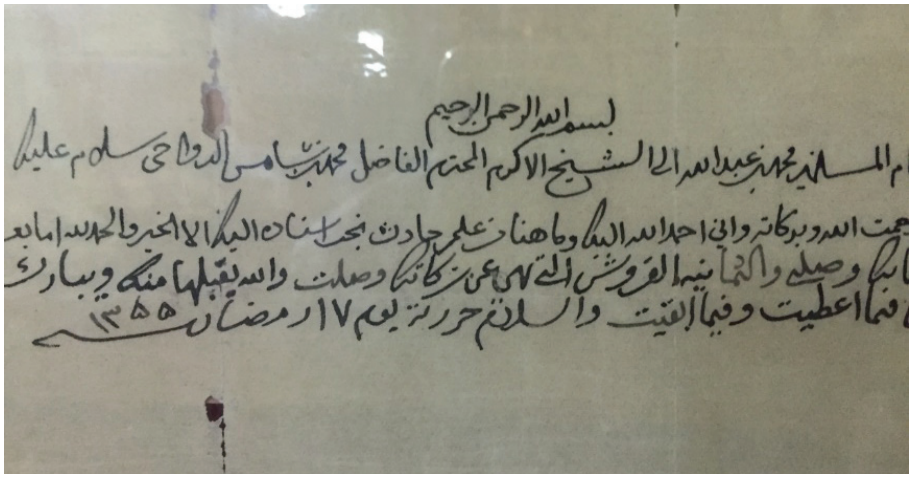

رسالة من الإمام الخليلي إلى الشيخ الورع محمد بن شامس الرواحي.

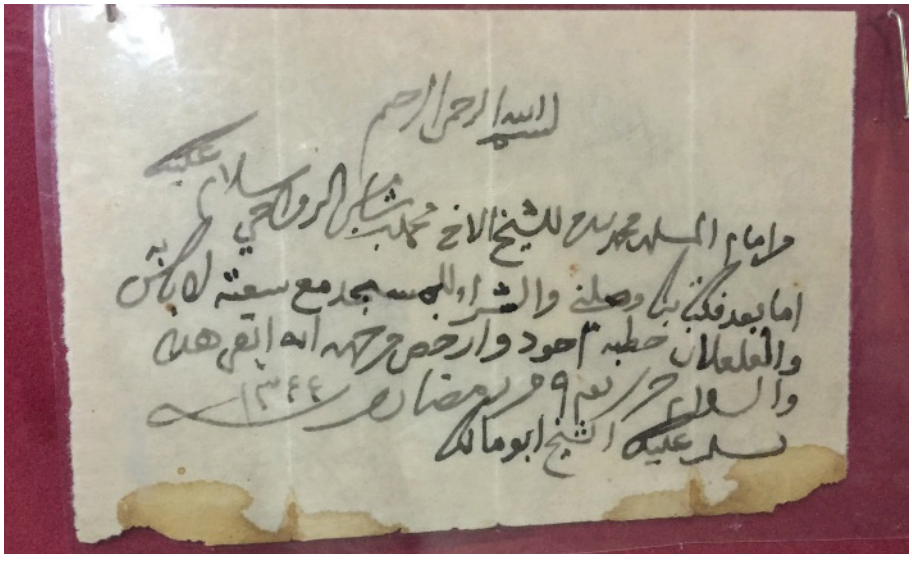

رسالة من الإمام الخليلي إلى الشيخ الورع محمد بن شامس الرواحي.

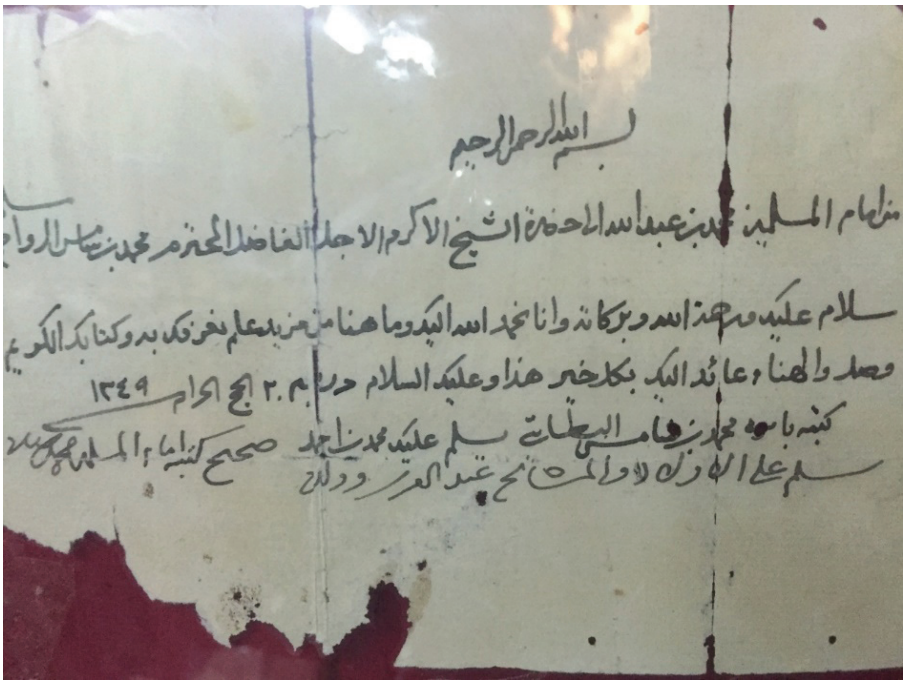

رد من الإمام الخليلي إلى الشيخ العلامة محمد بن شامس الرواحي للتهنئة بالعيد الأضحى